العرب
الإثنين 2021/06/14
السنة 44 العدد 12089

القاصران الإسرائيلي والفلسطيني لا يصنعان تسوية

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

في أعقاب حرب غزّة الأخيرة، والتي قد لا تكون الحرب الأخيرة، هناك مأزقان. المأزق الإسرائيلي والمأزق الفلسطيني. ليس غياب الطرح السياسي في إسرائيل سوى تعبير عن هذا المأزق في غياب القدرة على التخلّص من التركة الثقيلة لليمين الإسرائيلي. ليس فشل المصالحة الفلسطينية – الفلسطينية في القاهرة سوى دليل آخر على عجز لدى "حماس" والسلطة الوطنية في آن على التقدم بطرح سياسي واضح يشير إلى رغبة في إقامة دولة فلسطينية مستقلّة قادرة على لعب دور إيجابي على الصعيد الإقليمي بعيدا عن الشعارات الفارغة.

هناك البرنامج الوطني الفلسطيني للعام 1988 وفي أساسه خيار الدولتين. لماذا لا يصبح هذا البرنامج معتمدا من "حماس" في ظلّ موازين القوى القائمة بدل بقاء "حماس" في تخبط بين ولاءاتها المختلفة؟

في حال كان لدى "حماس" طرح آخر، مثل الطرح الإيراني مثلا، لماذا لا تطرحه وتحدّد ما الذي تريده، أو على الأصحّ ما الذي تسعى له غير وهم من نوع تحرير فلسطين من البحر إلى النهر؟

تستطيع مصر إخراج الفلسطينيين من هذا المأزق الذي يعانون منه في حين يفترض في الإدارة الأميركية وأوروبا مساعدة إسرائيل في تطوير نفسها سياسيا والخروج من سياسة تقوم على اعتبار الشعب الفلسطيني شعبا غير موجود وأنّ لا بديل من الاستمرار في بناء المستوطنات وتقطيع أوصال الضفّة الغربية كي تصبح أرضا طاردة لأهلها.

سيكون صعبا على إسرائيل الخروج من مأزقها. هذا يحتاج إلى شجاعة ورجالات دولة بعيدي النظر لم يعد لهم وجود في إسرائيل. في المقابل، لا وجود لقيادة فلسطينية قادرة على اتخاذ قرارات كبيرة، كما كانت الحال أيّام ياسر عرفات الذي استطاع فرض اتفاق أوسلو وقبل ذلك البرنامج الوطني الفلسطيني في اجتماع المجلس الوطني الذي انعقد في الجزائر في 1988.

> **أخطر ما في الأمر الهوّة التي باتت تفصل بين الضفة الغربيّة وقطاع غزّة في ظلّ قيادة فلسطينية مترهّلة في رام الله ورغبة «حماس» في بقاء «الإمارة الإسلاميّة» التي أقامتها في غزّة**

أخطر ما في الأمر الهوّة التي باتت تفصل بين الضفة الغربيّة وقطاع غزّة، وهي هوّة تفصل بين عالمين في ظل قيادة فلسطينية مترهّلة في رام الله من جهة ورغبة "حماس" في بقاء "الإمارة الإسلاميّة" التي أقامتها في غزّة من جهة أخرى. هذا ما يجعل دور مصر أكثر من ضروري لمعالجة حالة مرضيّة استمرّت أكثر من اللزوم.

تبدو الحالة المرضيّة الفلسطينية حالة مرضيّة إسرائيلية أيضا بعدما أمضى بنيامين نتنياهو اثني عشر عاما في موقع رئيس الوزراء الذي سبق أن بلغه للمرّة الأولى في العام 1996 بعد الهزيمة التي لحقت بشمعون بيريس أمام اليمين الإسرائيلي بعد أشهر من اغتيال إسحق رابين.

مع صعود اليمين في إسرائيل، تحوّل نتنياهو إلى ما قبل إزاحته، إلى الشخصية الإسرائيلية التي شغلت موقع رئيس الوزراء أكثر من أي شخصيّة أخرى في تاريخ الدولة منذ قيامها في العام 1948. استهدف كلّ ما قام به "بيبي" على الصعيد الفلسطيني إلغاء خيار الدولتين انطلاقا من وجهة نظر في غاية التزمّت اعتمدها اليمين الإسرائيلي الذي اعترض أصلا على اتفاق أوسلو الذي وقّع في أيلول – سبتمبر 1993 في حديقة البيت الأبيض بين ياسر عرفات، الزعيم التاريخي للشعب الفلسطيني، وإسحق رابين برعاية الرئيس بيل كلينتون.

ما هي تركة اليمين الإسرائيلي ولماذا يمكن القول إنّ هذه التركة أدّت إلى المأزق الإسرائيلي الحالي.

تختزل التركة بكلمة واحدة هي الاستيطان. تقوم التركة على فكرة إلغاء الشعب الفلسطيني بحقوقه المشروعة التي تفرض أن تكون له دولة مستقلة "قابلة للحياة" على أرض فلسطين التاريخية. تقوم التركة، أيضا، على ضمّ جزء من الضفّة الغربيّة، بما في ذلك القدس الشرقيّة، إلى إسرائيل. وهذا ما يفسّر حملات الاستيطان في الضفّة وقطع الطريق على إيجاد مساحة كافية من الأرض الخالية من أيّ مستوطنات تصلح لقيام دولة فلسطينية.

لم يكن النهج الذي اعتمده "بيبي" خلال وجوده في موقع رئيس الوزراء جديدا، بمقدار ما أنّه سياسة قديمة اعتمدها اليمين الإسرائيلي من أجل التخلّص من الشعب الفلسطيني. هذه سياسة قصيرة النظر ما لبثت أن ارتدّت على اليمين وعلى بنيامين نتنياهو تحديدا. ارتدّت هذه السياسة على أصحابها بسبب وجود شعب فلسطيني لا يمكن إلغاؤه. في النهاية، كيف يمكن التخلّص من نحو سبعة ملايين ونصف مليون فلسطيني في الداخل الإسرائيلي وغزّة والضفّة الغربيّة؟ هذا ما لم يستطع بنيامين نتنياهو فهمه يوما.

في خريف العام 1991، انعقد مؤتمر مدريد للسلام برعاية الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي الذي ما لبث أن انهار مطلع العام 1992. حضر الرئيس جورج بوش الأب وكبار رجالات إدارته وعلى رأسهم وزير الخارجية جيمس بايكر. حضر أيضا ميخائيل غورباتشوف الذي كان يمضي أيّامه الأخيرة في الكرملين. كان الأمل كبيرا في أن يسفر مؤتمر مدريد، الذي شاركت فيه إسرائيل بوفد على رأسه إسحق شامير، عن الخروج بتسوية تضع أسسا لإنهاء الصراع العربي – الإسرائيلي. ما كان يبعث على الأمل بذلك وجود إدارة أميركيّة جدّية تعرف المنطقة جيّدا تضمّ، إضافة إلى بوش الأب وجيمس بايكر، الجنرال برنت سكوكروفت مستشار الأمن القومي...

جرّت الإدارة الأميركية شامير جرّا إلى مؤتمر مدريد الذي انعقد على أساس مبدأ "الأرض مقابل السلام" وقرارات الشرعيّة الدولية. كان نتنياهو ناطقا باسم الوفد الإسرائيلي في مدريد. لكنّه كان قبل ذلك التلميذ النجيب لشامير، الذي ليس سوى شخص متحجّر أسير الدور الذي لعبه كزعيم لأحد التنظيمات الإرهابيّة في مرحلة ما قبل إعلان قيام دولة إسرائيل في 1948.

سئل شامير وقتذاك عن المفاوضات الدائرة في مدريد، فكان جوابه إننا مستعدون للتفاوض عشر سنين أخرى، لكنّنا سنعمل، في موازاة التفاوض، على إيجاد أمر واقع على الأرض. أي سنستمرّ في بناء المستوطنات...

سار "بيبي" على خطى شامير. فاوض من أجل التفاوض. عمل كل ما يستطيع من أجل خلق أمر واقع على أرض فلسطين متجاهلا الشعب الفلسطيني. هذا التجاهل هو الفجوة الرئيسية في تفكير سياسي إسرائيلي يتقن المناورة والتكتيك، لكنّه لا يعرف شيئا عن الفكر الاستراتيجي.

تكمن المشكلة القائمة حاليا في أن ليس في الجانب الفلسطيني من يستطيع البناء على المأزق الإسرائيلي. ليس من طرف يخرج الجانب الفلسطيني من مأزقه غير مصر وليس من يخرج إسرائيل من مأزقها سوى إدارة أميركية تنتقل من تأييدها خيار الدولتين إلى خطوات عملية في تحقيق تسوية بضمانات إقليمية ودولية.

في النهاية إنّ قاصرين لا يستطيعان تحقيق سلام من دون مساعدة الكبار...

هل ينحاز الله في المعارك فيحابي طرفا لإيمانه؟

سعد القرش
روائي مصري

أظهرت الحرب الإسرائيلية على غزة، من بين ما أظهرت، محاولة كلا الطرفين الاستحواذ على الله، وتصدير خطاب يدّعي أنه سبحانه ينحاز إلى المظلوم، وينصر الحق الممثل للخير، ويحارب الظالم الشرير، فيستحق الهزيمة، جزاء وفاقا.

بهذا الإلحاح على الاستئثار بالله، واختصاص كلا الفريقين به، يكون القارئ غير المنتبه قد تشوش، واختلط عليه الأمر، إذا فاته مصدر الكلام.

ويمكن للقارئ الدؤوب أن يعيد قراءة خطاب ممثل جيش إسرائيل وخطاب الإخوان المسلمين، ليتأكد له أن حربا صغري دامت عشرة أيام، واستخدمت فيها صواريخ وآلات قصف وتدمير وتفجير. وأما الحرب الكبرى فمستمرة، وساحتها الإعلام التقليدي والشعبي في وسائل التواصل الاجتماعي، وتستهدف الإقناع والإلهاء معا.

في صفحة الإخوان الفيسبوكية خطاب يستلهم بداية المرحلة المدنية من عمر الرسالة، ويبشّر أنصار الجماعة بأنهم ظلموا، وإن الله على نصرهم لقدير "يا معشر الإخوان المسلمين قد آن لكم أن تتركوا تمثيل دور الضحية، وأن تعودوا إلى شعار الدعوة الأول: الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا. الديمقراطية الشركية لن تأتي بالإسلام؛ لأن الديمقراطية تتعارض مع الإسلام في أصوله.. الحكم فيها للشعب والحكم في الإسلام لله.. والسيادة المطلقة فيها للشعب، والسيادة المطلقة في الإسلام لله".

ويقول آخر "الإخوان قاتلوا في حرب 1948، وقاتلوا في البوسنة والهرسك، وقاتلوا جيش الأسد في سوريا، وقاتلوا الاحتلال في لبنان، والآن يقاتلون في فلسطين".

الجهاد مفهوم نسبي، ويمكن لجماعة من المسلمين أن تدّعيه؛ لتسوّغ به شنّ الحرب على جماعة أخرى مسلمة. والمقاومة المسلحة للاحتلال يكفلها القانون والمواثيق الدولية. ولم يكن الجنرال شارل ديجول بحاجة إلى الانطلاق من نصّ في الكتاب المقدس، لكي يقاوم الاحتلال النازي لفرنسا. فلماذا الإصرار على مقولة أن الجهاد في الإسلام للدفاع عن النفس، وكأن غير المسلمين غير مسموح لهم بالتمتع بهذا الحق الإنساني. في "رسالة الجهاد" يقول حسن البنا "إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدي غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة... فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة، رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد في سبيله".

فهل ستكون "الشهادة"، من عضو بتنظيم الإخوان في سبيل الوطن؟ أو دفاعا عن حرمة "مواطنين مسيحيين"؟ لنترك محطة حسن البنا، ونصل إلى تلمود "معالم في الطريق" وفيه يقول سيد قطب "إن الذين يلجأون إلى تلمس أسباب دفاعية بحتة لحركة المد الإسلامي، إنما يؤخذون بحركة الهجوم الاستشراقية... المد الإسلامي ليس في حاجة إلى مبررات أدبية له أكثر من المبررات التي حملتها النصوص القرآنية –'فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة..'. و'قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرّمون ما حرّم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون'–".

يتغافل الإخوان عن ضحايا في فلسطين للاحتلال الإسرائيلي، ومنهم مسيحيون ويهود فلسطينيون ويهود أصوليون ضد إسرائيل؛ يرون قيامها تعجيلا بنهاية العالم. يتجاهل الإخوان الحقائق، ويلخصون فلسطين في قطاع غزة، وأكثرهم اعتدالا يرفض "جهاد" المستبدين المسلمين بالسلاح؛ لأن "الجهاد في سبيل الله يكون في فلسطين، ولا يكون الجهاد إلا ضد الكفار فقط، أما في بلاد المسلمين فالرسول أمر بالصبر، ونهى عن قتال الحاكم الظالم". ولكن يوسف القرضاوي وسوس إليه شيطانه، بعد عزل محمد مرسي، فدعا المسلمين "من إندونيسيا وماليزيا ونيجيريا والسنغال وباكستان وبنجلادش والهند والصومال والعراق وإيران وليبيا وتونس وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن، وفي كل بلاد الدنيا" ليكونوا شهداء في مصر.

> **الجهاد مفهوم نسبي يسوّغ به شنّ الحرب على جماعة أخرى فلماذا الإصرار على مقولة أن الجهاد في الإسلام للدفاع عن النفس وكأن غير المسلمين غير مسموح لهم بالتمتع بهذا الحق**

الإخوان والإسرائيليون كلاهما يستند إلى مفهوم الحق الإلهي، ويراهن على النصر. هذا إخواني يقول "العالم ضد أيّ حزب إسلامي وخصوصا الإخوان المسلمين لأنهم على حق". وعلى الطرف الآخر يقف الصهيوني الفكاهي أفيخاي أدرعي، وهو ضابط في جيش العدو، ويشغل منصب الناطق باسم جيش الاحتلال باللغة العربية. ويحظى المقدم أفيخاي بمتابعة لافتة، ولا يردّ حتى على سباب موجه إليه، لأنه بمنطق لاهوتي يرى الحق مع إسرائيل، والله مع الحق والخير. في عشرة أيام من الحرب على غزة نشط الضابط فيخو وكتب "مرة أخرى صراع بين الخير والشر... لن نرضخ للإرهاب والغزيين"، بل استعان بالآية القرآنية "وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون".

لجأ فيخو إلى الاستعانة بخطاب إسلامي "إني أشهد الله. ونشهد أنه بريء منكم أيها المفترون! باسم الإسلام اعتديتم على أرض القداسة أورشليم (القدس). حسبي الله ونعم الوكيل، لسان حال كل غزاوي في هذه الأيام". وأسعفه التذكير بحرمة أولى القبلتين وثالث الحرمين، والتسلح بآية "والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا". ودعا الله بالنصر "اللهم سدد ضربات الحقّ لتنصرها على الباطل. وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى". ومنعا لاختلاط الأمر على مسلم، فقد ألحق المقدم فيخو الآية بهذا الإيضاح "تتواصل ضربات جيش الدفاع على مواقع حماس في قطاع غزة، ردًا على اعتداءاتها ضد سيادة إسرائيل".

لا تنافس هزليات فيخو إلا ردود فعل على الطرف الآخر، تتوجه إلى الله أيضا، فيكتب مسلم غيور هذا التعليق في صفحة المقدم فيخو "اللهم بصوت جبروت قهرك، وبسرعة إغاثة نصرك، بحمايتك نحتمي بك، اللهم يا سميع يا قريب نسألك يا مجيب يا منتقم، يا سريع لا يعظم عليه هلاك، يا من لا يعجزه قهر، أن تجعل كيد كل من يكيد لنا في نحره، ومكر كل من يمكر علينا عائدا عليه، وانصرنا نصرا قريبا عليه، يا أرحم الراحمين". ويتجاوب آخر فيرجع هوان المسلمين، وقلة حياتهم، إلى التفريط في دينهم، ويربط تحرير القدس بانفجار المسلمين "في وجوههم بقبضة واحدة، لتختبئوا خلف الشجر".

هنا انتقال درامي من دعاء العاجز المستعين بالله، إلى خرافات تدعمها أحاديث ترسم ملامح للصراع في آخر الزمان، حيث تشتعل حرب دينية كونية ينتصر فيها المهدي على المسيح الدجال. وتثبت موسوعات إلكترونية، منها موقع الإمام ابن باز، هذا النص "يقاتل المسلمون اليهودَ فينصرون عليهم حتى يقول الشجر والحجر: يا مسلم! يا عبد الله! هذا يهودي تعال فاقتله"، رواه الشيخان البخاري ومسلم في الصحيحين وغيرهما. وقد سمعت القرضاوي في محاضرة بجامعة القاهرة، نهاية الثمانينات، يقول "انتصرنا على اليهود في حرب رمضان (1973) حين قلنا: الله أكبر. وقد هزمونا في 1967؛ لأن شعارنا كان: وسيفنا يتحدى القدر". رؤية منغلقة تهين جيشا وطنيا.

رؤية قرضاوية تتفق مع قول ليفي أشكول رئيس وزراء العدو "الله هو السبب في هذا الانتصار" في يونيو 1967، ولم يكن الجيش المصري أقل تقوى وإيمانا؛ فيكافئ الله المعتدين بالنصر. ما حدث هو إبعاد الجيش عن السياسة، وأعيد تنظيمه بشكل قتالي احترافي، ولم يرفع عام 1973 شعارا دينيا، ولم يفرّق العدو بين مسلم ومسيحي، وعبرت خمس فرق (نحو ثمانين ألف جندي) قناة السويس في أقل من ست ساعات. ولم ينخفض منسوب إيمان الجيش في بضعة أيام، لكي يمنح الله اليهود نصرا بالعبور العكسي من خلال الثغرة، اللهم إلا إذا كانت هزيمة المسلمين في غزوة أحد سببها شعار "سيفنا يتحدى القدر".

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk